

مَوْقِفٌ

الشيخ محمد الخضر حسين

مِنْ ظَاهِرَةِ الْإِحَادِ

تأليف
د. محمد بن إبراهيم الخضير

دار ابن الجوزي

مَوْقِف

الشيخ محمد الخضر حسين

من ظاهرة الإنجاد

صَبَّحَ لِحُقُوقِهِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٣٦هـ. لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - طريق الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣ - ص ب: ٢٩٥٧
الرمز البريدي: ٣٢٢٥٣ - الرقم الإضافي: ٨٤٠٦ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - تلفاكس: ٢١٠٧٢٢٨
جوال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨ - الإحصاء - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت: ٦٨١٣٧٠٦ - ٠٥٦٣٤٧٦٣٨٨ - بيروت
هاتف: ٠٣/٨٩٩٦٠٠ - فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ - القاهرة - ج م ع - محمول: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨
تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠ - الإسكندرية - ٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣ - البريد الإلكتروني:

aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدِّمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد
وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فإن الإلحاد ظاهرة خطيرة قديمة حديثة، وتلك الظاهرة تنافي
الإيمان بالله، وتعارضه معارضة كلية.

والمقصود بـ«الإلحاد» هاهنا: الكفر بالله، والميل عن طريق
أهل الإيمان والرشد، والتكذيب بالبعث والجنة والنار، وتكذيب
الرسول، وإنكار الرب - جل وعلا - ، وتكريس الحياة كلها للدنيا
فقط^(١).

والإلحاد ظاهرة عالمية؛ فالعالم الغربي في أوروبا وأمريكا
- وإن كان وارثاً في الظاهر للعقيدة النصرانية التي تؤمن بالبعث
والجنة والنار - ، هو في الأغلب قد ترك هذه العقيدة، وأصبح
إيمان الناس هناك بالحياة الدنيا فحسب، وأصبحت الكنيسة مجرد
تراث تافه جداً، وصار الإلحاد هو الدين الرسمي المنصوص

(١) انظر: الإلحاد، أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها؛ للشيخ عبدالرحمن

عليه في كل دساتير البلدان الأوروبية والأمريكية، ويعبر عن ذلك بـ«العلمانية» تارة، وبـ«اللا دينية» تارة أخرى.

أما في الشرق فقد قامت أكبر دولة على الإلحاد، وهي الدولة الروسية، التي تحمل العقيدة الشيوعية، وتتضمن بنودها رفض الغيب، والنظر إلى الحياة كلها من منظورٍ ماديٍّ بحت.

ولقد انتشر الإلحاد، ومدَّ رُواقه في كثير من بلدان العالم.

وقبل ما يزيد على مائتي عام لم تكن مشكلة الإلحاد بهذه الحدة، والانتشار، وإنما تمكَّن الإلحاد، واشتدت ضراوته في القرنين الأخيرين لأسباب عدة.

ويأتي على رأس تلك الأسباب - بإيجاز - :

- الطغيان الكنسي.

- ومظالم النظام الرأسمالي.

- وكثرة المشكلات في المجتمع الأوروبي.

- وأفول شمس الإسلام في أوروبا.

- وكثرة الاتجاهات والنظريات الفكرية.

- والاستعمار وما خلفه من دمار.

- والمكر اليهودي على العالم.

- والانقلاب الصناعي.

- وما يقوم به الملاحدة - وخصوصًا الشيوعيين - من بحث

علميَّ جادٌ مستندٌ على أدلة مغرية تقول: إن الدين خرافة.
ثم انتقل الإلحاد إلى بلاد المسلمين لأسباب كثيرة منها:
- انحراف كثير من المسلمين عن دينهم.
- وتركيز الغرب على إفساد التعليم والإعلام والمرأة.
- وانتشار المذاهب الهدامة.
- والاستعمار الذي جثم على كثير من بلاد المسلمين^(١).
ولقد كان الإلحاد يعيش أوجَهه في مطلع القرن العشرين
الميلادي؛ إذ كانت الدعاية له على أشدها، وكانت المواجهات
له في بداياتها؛ حيث تصدى لتلك الظاهرة نَفَرٌ من العلماء الذين
عاصروا تلك الحقبة.
ويأتي في طليعة هؤلاء: الشيخُ محمد الخضر حسين (١٢٩٣ هـ -
١٣٧٧ هـ)؛ فكان له رَحْمَةُ اللهِ صولاتٌ وجولاتٌ في مواجهة
الإلحاد؛ إذ هو العالم الموسوعي المتبحر في علوم الشريعة
واللغة، البصير في قضايا الفكر.

(١) انظر: المرجع السابق، ص ١٠ - ١٨، وانظر: كتاب: بعض أسباب
الإلحاد وأثر الإيمان بالله تعالى، للدكتور عبدالحليم أحمددي، وانظر:
نقد أصول الشيوعية، للشيخ صالح بن سعد اللحيان، مكتبة الحرمين،
ط ٢، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، ص ٤٠، والشيوعية خلاصة ضروب الكفر
والموبقات، لأحمد عبد الغفور عطار، ص ٣١ - ٣٢، وحكم الاشتراكية
في الإسلام، للشيخ عبد العزيز البدري، ص ٥٨.

والحديث هاهنا بسطاً لمواجهات الشيخ لتلك الظاهرة؛ فلقد تناول ظاهرة الإلحاد بالبحث المستقل، وبالرد على من يسوِّغ الإلحاد، كما تناول بعض قضايا الإلحاد التي تمر في غضون أبحاث في موضوعات أخرى.

وبَسَطُ ذلك يتبين من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: دراسته لظاهرة الإلحاد.

المطلب الثاني: دراسته لبعض قضايا الإلحاد.

المطلب الثالث: ردوده على من يُسوِّغ الإلحاد^(١).

وتحت كل واحد من هذه المطالب تفصيلات وتفريعات؛

(١) هذا البحث مستل من رسالتي للماجستير «منهج الشيخ محمد الخضر حسين في مواجهة الانحرافات العقديّة والفكرية»، وهي رسالة تقع في مجلدين وفي (١٠٤٦) صفحة، وقد احتوت على ترجمة موسعة للشيخ الخضر، ودراسة لمؤلفاته، وبيان لمنهجه في إثبات العقيدة، والرد على المخالفين، كما اشتملت على مواجهاته للفرق والدعوى الضالة في عصره كالبابية، والبهائية، والقاديانية، والتنصير، والروحية الحديثة. كما تضمنت بيان موقفه من الفلسفة، والتصوف، والتشيع، والشرك، والبدع، والإلحاد، وقضايا: العلمانية، والحرية، والتغريب، وتحرير المرأة.

وهذا البحث يمثل المبحث الخامس من الفصل الثاني من الباب الرابع من الرسالة.

وقد أفردتُ مبحث الإلحاد هاهنا؛ لمسيس الحاجة لدراسة تلك الظاهرة، وتأصيلها شرعيّاً.

فإلى بيان ذلك، واللَّه المستعان، وعليه التكلان.

د. محمد بن إبراهيم الحمد

الزلفي: (ص. ب: ٤٦٠)

(٢١/٧/١٤٣٦هـ)

جامعة القصيم - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية -

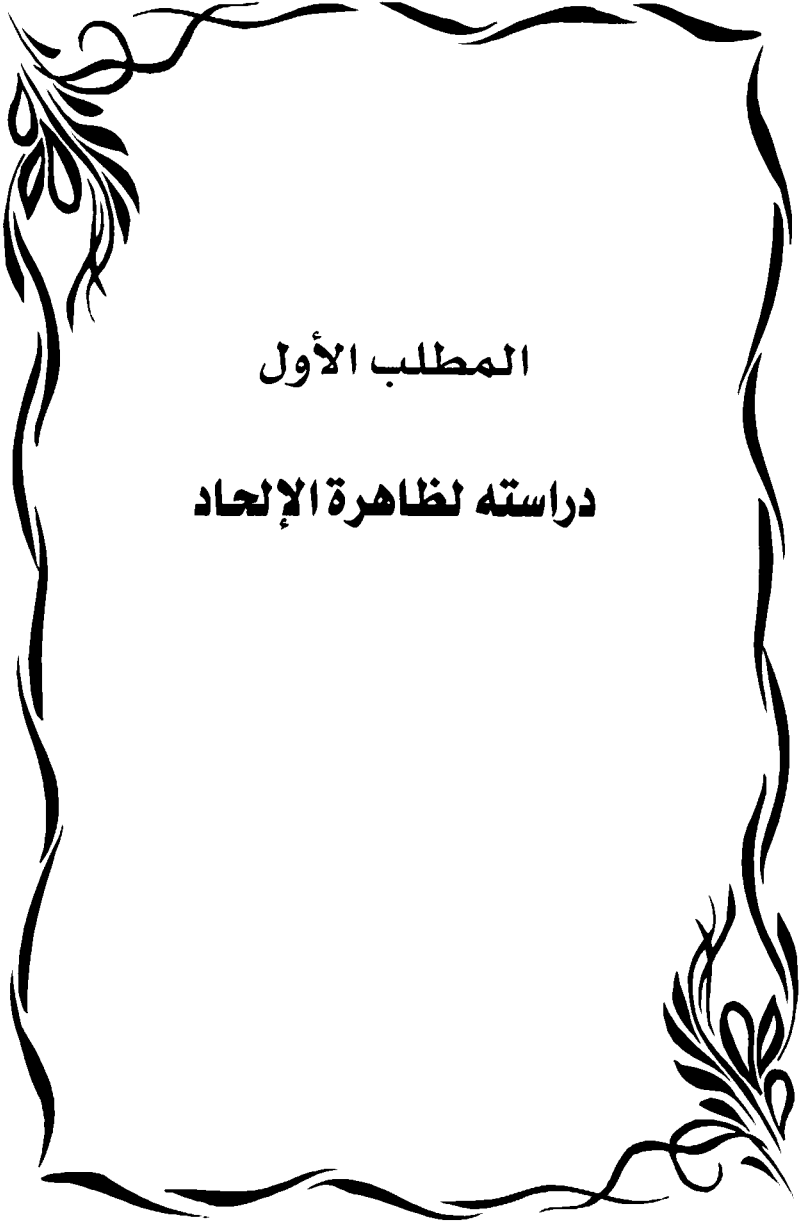
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

WWW.TOISLAM.NET

ALHAMAD@TOISLAM.NET

@M_ALHAMAD





المطلب الأول

دراسته لظاهرة الإلحاد

المطلب الأول

دراسته لظاهرة الإلحاد

والمراد من ذلك تناوله لظاهرة الإلحاد بالدراسة المستقلة المقصودة لذاتها.

وأجلى ما في هذا الشأن، وأهم ما جاء فيه بحثه المُعَنُونُ بـ:
«الإلحاد أسبابه - طبائعه - مفسده - أسباب ظهوره - علاجه»

وهو بحث منشور في «مجلة الهداية الإسلامية» الجزء الثاني من المجلد الحادي عشر، الصادر في شهر شعبان (١٣٥٧هـ)، ويوجد ضمن كتاب «رسائل الإصلاح»، وقد خرج في كتيب مستقل بعناية الشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني.

وقد اشتمل ذلك البحث على دراسة هذه الظاهرة بأسلوب شائق شامل مُحَكَّم.

وفيما يلي عرض لما جاء فيه:

أولاً: استهل الشيخ البحث بتقسيم الملاحظة:

وذلك من حيث إظهارُ إلحادِهِم، وإخفاؤُهُ، فقَسَّمَهُم إلى قسمين.

فقال عن القسم الأول: «في الناس مَنْ يضع إلحاده على طرف

لسانه، أو على ظاهر يده، فيريك ما في صدره.
وهذا قد جعلك في حِلٍّ من أن تسميه ملحدًا، ولم يُخَوِّجْكَ
إلى أن تنبه الناس لضلاله، أو تنصح لهم بالاحتراس من أقواله،
إلا أن تعمد إلى ما يطعن به في الدين، فَتَكْشِفَ عن وجوه فساده،
وتدفعه بالحجّة»^(١).

ثم ذكر القسم الثاني فقال: «وفي الناس من يحمل في نفسه
إلحادًا في الدين، وبُعْضًا للشريعة، وإذا جلس إلى المؤمنين
حاول أن يضع بينهم وبين ما في نفسه حجابًا مستورًا.
وإنما ينطلق بأرائه الزائغة حين يخلو بنفوس تَلَدُّ ما تَلَدُّ نَفْسُهُ
من الطعن في وجود الإله الحق، أو في صدق النبوة وحكمة
التشريع»^(٢).

ثانيًا: تعرض بعد ذلك لأسباب الإلحاد:

فذكر ما يلي:

- ١ - النشأة في بيت خالٍ من آداب الإسلام ومبادئ هدايته.
- ٢ - اتصال الفتى الضعيف النفس بملحد يكون أقوى منه
نفسًا، وأبرع لسانًا؛ فيأخذه ببراعته إلى سوء العقيدة، ويفسد عليه
أمر دينه.

(١) رسائل الإصلاح ص ١٧.

(٢) المرجع السابق ص ١٧.

٣ - قراءة الناشئ مؤلفات الملحدين التي يدسُّون فيها سموماً من الشبه تحت ألفاظ منمقة، فتضعف نفسه أمامها؛ فلا يلبث أن يدخل في زمرة الملاحدة.

٤ - غلبة الشهوات على نفس الرجل؛ فتريه أن المصلحة في إباحتها، وأن تحريم الشرع لها خالٍ من كل حكمة، فيخرج من هذا الباب إلى إباحية وجحود^(١).

ثالثاً: انتقل إلى بيان طبائع الإلحاد والملاحدة:

يقول الشيخ الخضر - رَحِمَهُ اللهُ - في ذلك: «سأقتني صروف الليالي إلى ملاقة طائفة من الملاحدة في تونس، وفي الآستانة، وفي الشام، وفي ألمانيا، وفي مصر، فرأيت هذه الطوائف تتشابه في أمور يبعد أن يكون تواردهم عليها من قبيل المصادفة، وإنما هي طبائع لما تواطأت عليه قلوبهم من جحود لآيات الله، وإنكار لدينه الحنيف»^(٢).

ثم شرع في الحديث عن شيء من هذه الطبائع التي لا تجتمع في شخص إلا أن يكون قلبه مصاباً بعلة الجحود - كما يقول -؛ فذكر من تلك الطبائع والعلامات ما يلي:

١ - فرح الملاحدة بتهمة عالم كبير بالإلحاد: والمثير لهذا الفرح حرصهم على ألا ينسب إلى الدين من ظهرت له أثاره من

(١) انظر: المرجع السابق ص ١٧ - ١٨.

(٢) المرجع السابق ص ١٨.

علم أو فكر.

٢ - استهزأؤهم بالدين: وربما كان ذلك بمحضر بعض المؤمنين؛ بزعم أنهم مازحون غير جادين.

٣ - انهامكهم بالفسوق: فمجالسهم قائمة على شرب الخمر، وما يتبعها من خبائث.

ومن تظاهر منهم بالرزانة وحسن السميت فبمقدار، وإلى وقت.

٤ - تناقضهم بالأقوال: وانظروا إلى ما يكتبه بعض الملاحدة في الاجتماع أو السياسة تجدوه متخاذلاً يلعن بعضه بعضاً.

٥ - إنكارهم المعجزات الكونية، وإلقاؤهم الشبه حولها.

٦ - دسهم في الشريعة ما ينافي حكمتها، وإنكارهم العمل بالحديث الشريف، وتأويلهم القرآن على حسب أهوائهم^(١).

٧ - صداقتهم للمجاهرين بالجحود.

٨ - إلحاحهم في الدعوة إلى حرية الرأي في الدين؛ لتجد دعوتهم المعادية للدين سعةً.

ومن ملك من هؤلاء قوةً استعملها في اضطهاد رجال الدين المستقيمين، وسد باب الحرية في وجوههم؛ فإن لم يفعل ذلك على طريقة مكشوفة، فعله من طرق ملتوية.

٩ - دعوتهم إلى الإلحاد: ففي الملاحدة من يعجز أن يكون

داعيةً إلى الإلحاد، فيكتفي بأن يطلق لنفسه العنان في الإباحية. ومنهم من يدفعه بغض الدين إلى أن يعمل بلسانه أو بقلمه لهدم أصوله، والصد عن سبيله.

ولهم في ذلك طرق يأتمرون لتديروها^(١).

فهذه خلاصة طبائع الإلحاد والملاحدة - كما يراها - .

✍ رابعاً: انتقل إلى بيان مفاصد الإلحاد الاجتماعية:

فقرر أن «الملحد لا يحافظ على عِرضِ أحد، ولا على ماله، ولا على حُرمة؛ إلا أن يعجز عن الوصول إلى شيء من ذلك.

ومتى ساعدته الفرصة، وظن أنه بمأمن من العقوبة، عاث في الأعراض والأموال؛ غير متحرج من انتهاك حرمتها.

وقد يقع انتهاك الأعراض ونحوها من غير الملحد بدافع الشهوة، أما الملحد، فإنه يأتيها مستبيحاً لها.

وضرر الطائفة التي ترتكب الفسوق مستبيحةً له أشد من ضرر من يفعله معتقداً أنه يأتي أمراً محرماً^(٢).

كما قرر أن الملحد لا يكف نفسه عن الهوى، إلا أن يخاف ألماً يأتيه من الناس أكبر من ذلك الهوى.

وأضاف أنك «إذا وجدت في زائغي العقيدة من يتحدث عن

(١) انظر: المرجع السابق ص ٢١ - ٢٣.

(٢) المرجع السابق ص ٢٣.

الأخلاق، ويوهم الناس أن الأخلاق تكفي في استقامة السيرة والاحتفاظ بالعفاف - فإن ذلك كله رياء ونفاق.

نعم للأخلاق أثر في تقليل الشر، ولكنها لا تأتي بأثر عظيم في انتظام حال الاجتماع إلا حينما تسير تحت مراقبة عقيدة دينية ثابتة^(١).

✍ خامساً: تطرق إلى أسباب ظهور الإلحاد:

فقرر أن الملاحظة لم يكونوا في السابق يعلنون إلحادهم؛ فكان الإلحاد في العصور الماضية لا يتجاوز نفرًا قليلًا يعرفهم الناس في لحن أقوالهم، وبانهماكهم في الفجور، وقضاء أوقاتهم في المجون.

أما اليوم فقد ظهر الإلحاد، ورفع رأسه، وتجاوز المجالس الخاصة إلى الصحف والمؤلفات^(٢).

ثم ذكر أن لذلك الظهور أربعة أسباب، ثم شرع في بيانها فقال: «أحدها: أن بعض الحكومات صارت تضع قوانينها الدستورية في عبارات لا يرى فيها الملحد قيدًا يكفه عن إعلان إلحاده، أو الدعوة إليه كما يشاء.

ثانيها: أن كثيرًا من المتممين إلى علوم الشريعة فرطوا في جانب الغيرة على الحق، فتراهم يوادون من يصفهم الناس

(١) المرجع السابق ص ٢٣ - ٢٤.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٢٤.

بالإلحاد، ويتملقونهم بالإطراء، ويشهدون لهم بالإخلاص للدين، يفعلون هذا رجاء متاع الحياة الدنيا، وهم يعلمون أنهم إنما يمدحون طائفة تُفسد على الأمة أمر دينها وأخلاقها.

ثالثها: أن بعض الحكومات الإسلامية ترفع إلى المناصب العالية من لم يتلقوا من علوم الدين ما يميزون به المفسد من المصلح؛ فيجد الجاحدون لديهم حظوة، ولو مع إعلانهم الإلحاد، وجراءتهم على الطعن في الشريعة الغراء.

وإقبال كبراء الدولة على الملحد وتمكينه من المناصب التي يتخذها وسيلةً لنفث سموم إلحاده - قد يكون مشجعاً لغيره من زائعي العقيدة على أن يجهروا بزيفهم، ويدعوا إليه وهم آمنون.

رابعها: أن بعض الملاحدة دخلوا في الحركات الوطنية، وتظاهروا بالغيرة على الوطن؛ فانخدع بهم الناس، حتى خلعوا عليهم بلقب الزعامة، فأخذ هؤلاء الزعماء الملاحدة يعملون لنشر الإلحاد بين من يتصل بهم من الشبان»^(١).

سادساً: ختم البحث في بيان كيفية علاج الإلحاد:

فقال في ذلك: «متى قيَّض الله للحكومات الإسلامية رجالاً يقدرون فضل الدين في إصلاح حال الأفراد والجماعات، وفضله في إخراج رجال يطمحون إلى العزة، ويقتحمون كل ما يعترضهم في سبيلها من عقبات، وفضله في بسط الأمن في البلاد، متى قدر


(١) المرجع السابق ص ٢٤ - ٢٥.

أولو الأمر فضل الدين، ومتى تضافر علماء الشريعة على الدعوة إلى الحق بحكمة، وعلى مكافحة الزائغين بالحجة - طَهَّرَت الأمة من خبث الإلحاد، وبلغت أقصى غايات المجد والفلاح»^(١).

فهذه هي أهم المعالم التي وردت في ذلك البحث، الذي أفردته الشيخ في الإلحاد.



(١) المرجع السابق ص ٢٥.

A decorative border with intricate floral and scrollwork patterns, framing the central text. The border is composed of black lines on a white background, with a prominent floral motif in the top-left and bottom-right corners.

المطلب الثاني

دراسته لبعض قضايا الإلحاد

المطلب الثاني

دراسته لبعض قضايا الإلحاد

المقصود من هذا المطلب: ما يكون من دراسة الشيخ الخضر رَحِمَهُ اللهُ لبعض قضايا الإلحاد، أو تناوله له في غضون بحثه في موضوعات أخرى؛ بِحَيْثُ يمر من خلالها بالإلحاد عرضاً دون أن يكون قاصداً له بالدراسة والبحث بمفرده.

وفيما يلي بيان لبعض ما تناوله من هذا النوع بشيء من البسط.

أولاً: الملاحظة وسبب إلحادهم:

ففي بحث له عنوانه: «الدعوة القائمة على حق» تعرض لمنكري الإسلام، ومحاربيه؛ فَبَيَّنَ أنهم طائفتان:

طائفة الباطنية: وهم من يظهرون الإسلام، ويخفون الكفر.

والملاحدة: وهم من ينكرون حقائق الإسلام من أصلها.

وقلَّتْهم وكثرتهم بحسب ما يُلْقون من الرد عليهم، وإنكار ما

يعتبر إنكاره^(١).

وقال بعد ذلك: «وأما سبب باطنية هؤلاء، وإلحاد هؤلاء

(١) انظر: دراسات في الشريعة الإسلامية ص ١٢٢ - ١٢٣.

فملاكه الجهل بحقائق الدين، وتقليد غير المسلمين في بعض عقائدهم، أو تقليد ما يرمون به الإسلام من الأوهام الناشئة عن سوء العقيدة»^(١).

ثم شرع بعد ذلك بضرب الأمثلة على ما ذكره من أسباب الإلحاد.

ثانياً: التأكيد على أن العلم المادي لا يشد أزر الإلحاد:

إذ كان كثير من الملاحدة يتكئ على أن العلم المادي يُثبت بطلان الدين، وينكر وجود الإله؛ فبين الشيخ أن الأمر بخلاف ذلك؛ حيث يقول - رحمته الله - في بحث له بعنوان: «الإسلام والعلم»: «ومن الظن الخاطيء ما تخطه بعض الأقلام، من أن هذه العلوم المادية قد تشد أزر الإلحاد، وتجعله يظهر على دين كدين الإسلام؛ فإن النظر الصحيح في هذه العلوم لم يأت بما يؤزر الإلحاد، وليس في نصوص الدين الإسلامي وأصوله ما يتعارض مع العلم الصحيح حتى يستطيع الإلحاد أن يتخذ منه قوة.

وإنما الآراء التي تدفعها الحجة قد تقع في يد من لا يُحسن نقدها، ولا يميز رأسها من عقبها؛ فيعارض بها آية من كتاب الله، أو حديثاً صح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ويذهب في الحيرة أو الضلالة إلى مكان بعيد.

وقد تكون آفة الرجل من عدم تفقّهه في الدين، وتخيُّله أن

(١) المرجع السابق ص ١٢٣.

معنى الآية أو الحديث يخالف ما أثبتته العلم الصحيح»^(١).

ثالثاً: تصنيف الملاحظة:

ففي مقال له عنوانه: «إلى شباب محمد - ﷺ - أيها الشباب الناهضون» يقرر أنه «ليس من العجب أن يلحد أبناؤنا الذين نشؤوا في بيئات لا تعرف من الدين إلا اسمه، ولم يلاقوا إلا نفر الذين تصدوا لمحاربة الدين بجهالة أو بسوء قصد.

وإنما العجب أن تجد الإلحاد والإباحية في نفر نشؤوا في معاهد إسلامية، ولكنهم يتسترون بتأويل القرآن المجيد، والحديث النبوي الشريف تأويلاً لو سلكناه في تأويل كلام أحدهم لغضب منه، وعدّه رمياً له بالعبيّ، أو العبث بأوضاع اللغة العربية»^(٢).

ثم يخلص من ذلك إلى أن الزائغين عن الرشد في أوطان المسلمين من الملاحظة صنفان:

١ - صنف نشؤوا في بيئات شأنها الطعن في الدين، ولا عمل لها إلا إيراد الشبه مجردة من الحجج التي تدفعها، وتقر الحقائق في مواضعها.

٢ - صنف نشؤوا في معاهد إسلامية، ولكنهم لم يدرسوا الدين دراسةً جدّ وتحقيق تجعلهم في حصانة من أن تأخذهم الشبه، وتخدعهم زخارف الحياة، ولم يملكو من خشية الله - تعالى - ما

(١) الدعوة إلى الإصلاح ص ٨٣ - ٨٤.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٤.

يمنعهم أن يقولوا على الله غير الحق^(١).

ثم يقرر أن تقويم الصنف الأول من الملاحظة أيسر من تقويم الصنف الثاني؛ إذ الصنف الأول قد يجلس إليك بصفتك داعياً إلى الإصلاح؛ فيصغي إليك عندما تتصدى لدفع شبهة، وإقامة حجة، فإذا بَصُرَ بالشبهة ذهبت، وبالْحِجَّة أضاءت - لم يلبث أن يجيب دعوتك متأسفاً عما سبق له من الغواية، مغتبطاً بما وفقه الله إليه من هداية^(٢).

ثم يذكر الصنف الثاني فيقول: «أما الصنف الثاني - وهم الذين يلحدون بعد قطع مراحل من التعليم الديني - ، ففي دعوتهم من ظلمات الزيف إلى نور الرشد عُسر؛ إذ يخيل إليهم أنهم عرفوا ما يعرفه الدعاة، ولم يجدوه موصلًا إلى حق.

وهذا التخيل يصددهم عن الإصغاء إلى الدعوة، وإذا أصغوا إليها فإنما يقصدون في غالب أمرهم استكشاف موضع ضعفٍ يهاجمونها منه»^(٣).

ثم يبين سبب خطورة الصنف الثاني فيقول: «وهذا الصنف أشد ضرراً على الأمة من الصنف الأول؛ إذ الصنف الأول قد يكون إلحاده مقصوراً عليه، وإن قام بدعاية إلى الإلحاد فإن الناس لا يستمعون إليه؛ إذ هو محمول على الجهل بحقائق الدين وأصوله.

(١) انظر: المرجع السابق ص ١٢٤.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٤. (٣) المرجع السابق ص ١٢٥.

أما ذلك الذي يخرج لهم في زي رجال الدين، أو يذكر أنه درس الدين حتى انتهى إلى غاية بعيدة - فكثيراً ما يَغْرُ الغافلين من الشباب أو العامة؛ إذ يسبق إلى أذهانهم أنه يتكلم على بينة، ولا يتبهبهون لما يحمل في صدره من زيغ، ولا لما يضمّر في نفسه من أغراض دنيئة»^(١).

رابعاً: أساليب الملاحدة:

ففي كتاب «نقض كتاب في الشعر الجاهلي» الذي رد به على طه حسين، يذكر أن القرامطة طائفة من المجوس، وأن لهم في الدعوة مراتب؛ حيث يتفرون في حال المدعو: هل هو قابل للدعوة أو لا؟ ثم استمالة كل واحد بما يميل إليه من زهد وخلاعة، ثم التشكيك بأركان الشريعة^(٢).

وبعد أن قرر ذلك قال: «ويحاكيهم في هذا أولياؤهم من ملاحدة هذا العصر؛ فإنهم يختبرون حال المدعو، فإن أنسوا منه جهالة أو غباوة عرضوه على شيء من هذه الكتب التي تلبس حق الإسلام بالباطل، والتي اعترف منها المؤلف في هذا الكتاب

(١) المرجع السابق ص ١٢٥.

(٢) انظر: القرامطة لابن الجوزي، تحقيق محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م، ص ٥١ - ٥٢، والإفحام لأفندة الباطنية الطغام، تأليف يحيى بن حمزة العلوي، حققه فيصل بدير عون، راجعه علي سامي النشار، الناشر: منشأة المعارف، الإسكندرية، ص ١٧.

عَرَفات، ثم يأخذونه بالتأنيس، ويستميلونه بما تهوى نفسه من متاع هذه الحياة.

وتلجأ هذه الفئة - أيضًا - إلى التشكيك في أركان الشريعة، وتحاول بكل صفاقة أن تحرّف الكلم عن مواضعه^(١).

ثم ينبه على أن هناك فرقًا بين هؤلاء وأولئك؛ فهو يرى أن القدماء لم يجدوا في الإلحاد منافع مادية تحمّلهم على التضامن والصدق في الزندقة^(٢).

✍ خامسًا: موقف الإسلام من الإلحاد:

فلقد عني الشيخ بهذا الأمر عنايةً كبرى، فأولاه اهتمامه، وتعرض له في مناسبات عدة.

ومن أجلى ما في ذلك ما جاء في مقابلتين صحفيتين أجريتا معه، الأولى وعنوانها: «موقف الإسلام من الإلحاد والمذاهب الهدامة»، وقد أجرتها مجلة «الصدّاقة» التي تظهر بالقاهرة، ونشرتها - أيضًا - جريدة «الأسبوع» التونسية العدد (٣٣٣) لعام ١٩٥٣م).

والثانية وعنوانها: «موقف الإسلام من الشيوعية»، وقد أجرتها معه جريدة «الأهرام» المصرية (العدد ٢٤١١٨ في ٢٥/١١/١٩٥٢م)، ونشرتها مجلة «الأزهر» الجزء الرابع، المجلد الرابع

(١) نقض كتاب في الشعر الجاهلي ص ٣٢٨ - ٣٢٩.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٣٢٩.

(غرة ربيع الأول ١٣٧٢ هـ - ديسمبر كانون الأول ١٩٥٢ م).

وكان ذلك الوقت وقت أوج الإلحاد، وبريق الشيوعية.

وقد بيّن في المقابلة الأولى خطورة الإلحاد، ومحاربة الإسلام له في جميع صورته، وأن الإلحاد لو ساد جماعة من الجماعات لتغير نظامها من استقرار إلى اضطراب، وجعلها أقرب ما تكون إلى الهدم منها إلى البناء، وأمّيل إلى الحرب منها إلى السلام^(١).

كما بين خطر حامية الإلحاد - الشيوعية - ، وأنها تقوم على محاربة الأديان، وتمكين النزعة المادية وحدها في توجيه الناس، وتدعو من جانب آخر إلى تقويض كثير من تعاليم الإسلام؛ سواء أكانت في دائرة الأسرة، أو في معاملة الأفراد بعضهم ببعض، أو في مجال الحرية الفردية.

وقرر أن الإسلام إذا حارب النزعة المادية - سواء أكان في الاتجاه الإلحادي أو في المذهب الشيوعي - ، فإنه ينشد عن سعادة الأفراد وسعادة الجماعات والشعوب، كما يرى أن يجعل من الجزاء الأخروي جزاءً له قيمته في نظر الناس يفوق الجزاء المادي^(٢).

وبين أن «الأزهر بعنايته بنشر الإسلام والثقافة الإسلامية يبغى مكافحة سيطرة النزعة المادية والإلحادية، ويرغب رغبة

(١) انظر: أحاديث في رحاب الأزهر للشيخ محمد الخضر حسين ص ١٧٣.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ١٧٤.

أكيدة في أن يكون للجانب الروحي مكانه في توجيه الإنسان؛ إذ الإنسان في نظر الإسلام ليس مادةً جسميةً فقط، وإنما هو روح قبل كل شيء يتصل بها هذا الجسم المادي»^(١).

ثم أفاض في الحديث عن مسؤولية الأزهر في حرب الإلحاد، ونشر تعاليم الإسلام، وإعطاء الناس صورةً صحيحةً سليمةً عنه. كما أن له كلامًا قريبًا من ذلك في المقابلة الثانية «موقف الإسلام من الشيوعية».

وزاد في تلك المقابلة في التفصيل عن أضرار الشيوعية، ومناقضتها للضرورات في نظامها الاقتصادي، ومحاربتها للملكية الفردية^(٢).

سادسًا: الاحتفاء بإسلام زعيم من زعماء الإلحاد والشيوعية:

فالشيخ - رَحِمَهُ اللهُ - يحتفي ويفرح أيما فرح إذا اعتنق أحدٌ دين الإسلام سواء كان يهوديًا، أو نصرانيًا، أو غيرهما. ومن ذلك فرحه باعتناق زعيم من زعماء الشيوعية الكبار للإسلام، ألا وهو «تروتسكي»^(٣).

(١) المرجع السابق ص ١٧٤.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٣٩ - ٤٣.

(٣) هو الزعيم السوفيتي الذي يأتي في المرتبة الثالثة بعد لينين وستالين، ولد سنة ١٨٧٩م، واغتيل سنة ١٩٤٠م، واسمه الحقيقي بروتالين، وهو ابن لرجل يهودي من الطبقة المتوسطة، وله أثر كبير في الشيوعية والحزب =

وقد فرح الشيخ بهذا الخبر، ونشره في مجلته، وعلق عليه.
يقول الشيخ في مقال نشرته مجلة «الهداية الإسلامية» الجزء السابع من المجلد الأول تحت عنوان «تروتسكي يعتنق الإسلام في بيئة تجهل على الإسلام»: «نقلت الصحفُ خبرَ اعتناق تروتسكي - الزعيم البولشفي - للإسلام، وهو منفي في تركيا، وجاء في حديث إسلامه: أنه على أثر شفائه من مرضه في الآستانة دعا مفتي الآستانة، فأجاب دعوته، وشهد اجتماعهما مندوب جريدة «وقت» التركية، فقال تروتسكي: كنت يهوديًا، غير أن مبادئي لم ترق لبعض الحاخامين، فحرموني من ديانتي، ولكني لم أعزَّ حرمانني هذا اهتمامًا كثيرًا؛ لأن مبادئ الدين الإسرائيلي لم تكن لتروقني، فلم أحتجَّ، ولم أعارض.

وأما الآن، وأنا أتقدم في السن، فإني أشعر كغيري من الناس بأنني في حاجة إلى إيمان ودين سماوي، ففكرت في وقت ما أن أصبح مسيحيًا، غير أنني عدلتُ عن ذلك؛ لكرهي اعتناق دين القياصرة المستبدين، وراسبوتين الراهب الشرير؛ فلم يبق أمامي غير الدين الإسلامي الذي دققْتُ في البحث في شرائعه، فوجدت فيه مزايا حسنةً، منها: أنه يحض على المناقشة والمباحثة في أصوله؛ ولذا سأعتنق الإسلام، وسيتناول فضيلة المفتي العشاء

= الشيوعي. انظر: المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، د. عبدالرحمن عميرة ص ١٩٢ - ١٩٤.

معي، ثم يبدأ بتلقيني الشرائع الإسلامية»^(١).

ثم علق على هذا الخبر الذي نشرته جريدة الأهرام (عدد ١٩ أبريل نيسان سنة ١٩٢٩م) بقوله: «يحدثنا تروتسكي أنه اعتنق الإسلام بعد أن دقق البحث في حقائق شريعته الغراء، ومن نظر إلى أن تروتسكي نشأ في منبت غير إسلامي، وأُشربَ مذهباً ذا مبادئ لا تلائم طبيعة الدين الحنيف، ثم وقع في بيئة أخذ مترفوها يفسقون عن الإسلام علانية - وثق بأن مثل تروتسكي إنما يسلم على سلطان من الحجة ميين»^(٢).

إلى أن يقول: «ولا عجب أن يهتدي تروتسكي للإسلام، ويزيغ عنه نفر ترددوا على معاهد شريعته بضع سنين؛ فإن هؤلاء نفر لم ينظروا في حقائقه نظر الباحث النبيه، وما كانت تعاليمه إلا كالصور تقع على ظاهر قلوبهم دون أن تخالط سرائرها؛ فما هم من أولئك الذين يتجافون عنه بجهالة مطلقة ببعيد.

ولنا الأمل في أن تصلح طرق التأليف والتعليم، فيسهل على كل ناشئ يدرس حقائق الشريعة أن يصل إلى لبابها، وينفذ إلى بالغ حكمتها.

ولو عني القائمون على شؤون الدين بترجمة محفوفة بالاستدلال وبيان الحكمة، لأصبح عدد المعتنقين للإسلام من

(١) الهداية الإسلامية ص ١٩١.

(٢) الهداية الإسلامية ص ١٩١.

أمثال تروتسكي غير قليل»^(١).

فهذه هي أهم قضايا الإلحاد التي مر بها الشيخ في غضون أبحاثه الأخرى.



المطلب الثالث

ردودُه على من يسوِّغ الإلحاد

المطلب الثالث

ردوده على من يسوّغ الإلحاد

وهذه الردود مبثوثة في تضاعيف كثير من كتبه، كما في كتابيه: «نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم» الذي رد به على كتاب علي عبدالرازق «الإسلام وأصول الحكم»، وكتاب «نقض كتاب في الشعر الجاهلي»^(١).

أما أجلي الردود التي ردّ فيها قصداً على من يسوغ الإلحاد: فهو رده على الأستاذ محمد فريد وجدي الذي كتب مقالاً سماه «سطوة الإلحاد على الأديان».

فما كان من الشيخ الخضر إلا أن رد على ذلك المقال بردّ سماه: «نقد مقالة: سطوة الإلحاد على الأديان»^(٢).

وقد ألقى الشيخ رحمته الله هذا الرد في محاضرة في نادي جمعية الهداية الإسلامية بالقاهرة، ونشرت في الجزء التاسع من المجلد الرابع لمجلة «الهداية الإسلامية»، وهي المحاضرة الثانية، وقد

(١) هذا الكتابان من أعظم كتبه، وأخلدها، وأهمها، وأكثرها أثراً، وبيانا لعلميته العظيمة، وعبقريته الفذة في الردود. انظر: تفصيل الكلام عليهما في مواضع كثيرة من كتاب: «منهج الشيخ محمد الخضر حسين في مواجهة الانحرافات العقدية والفكرية».

(٢) انظر: محاضرات إسلامية ص ٢٠٠.

سبقتها محاضرة، وكلاهما كان بعنوان: «نقد آراء الأستاذ فريد وجدي من الناحية الدينية والاجتماعية»

وقد تناول خلال المحاضرتين عددًا من آراء الأستاذ فريد وجدي، ومن ضمنها مقالة: «سطوة الإلحاد على الأديان».

وقد بين الشيخ الخضر في المحاضرة الأولى رأيه في فريد وجدي؛ حيث قال - محسنًا الظن به - : «كنا نقرأ للأستاذ فريد وجدي بعض مؤلفات، فنرى فيها جُملاً يحيد بها عن السبيل، ولَكنا نزيُّها بما كان يكتبه في تأييد الإسلام، فيبدو لنا أن صوابه أكثر من خطئه، ونحمل ذلك الخطأ على أنه وليد نظرة متسرعة، أو نلتمس له العذر من ناحية أنه لم يدرس علوم الدين وتاريخ الإسلام دراسةً تحميه من أن يشذ عن الجادة إلى مكان بعيد.

وللأستاذ المرحوم أحمد تيمور باشا تأليف في بيان ما اشتملت عليه «دائرة معارف» الأستاذ فريد وجدي من الخطأ الفاحش في التاريخ»^(١).

ثم بين الشيخ رحمته إلى أن تلك الثقة بالأستاذ وجدي بدأت تتزعزع، فقال: «ما زلنا نعتقد أن الأستاذ في صفوف الدعاة إلى الحق والإصلاح، على الرغم مما كان يظهر في بعض منشأته من شذوذ، حتى قرأنا له منذ ثلاث سنين مقالاً في مجلة تصدر في حلب يقال لها: «الحديث» فأحسنا في هذا المقال روحًا تخذل

الروح الذي كان يتردد فيما أَلْفَه من قبل، ولبشنا غير بعيد، فإذا نحن نقرأ للأستاذ ثلاث مقالات نشرها في جريدة «الأهرام» تحت عنوان: «الدعوة إلى التجديد»، فتزحزح فيها عن سيرته الأولى أكثر مما تزحزح، وجعل ناقدتي مقالاته يحسبون قلمه في الأفلام التي تستخف بأمر الدين في غير رصانة.

وأُتبع هذه المقالات بمقالة جعل عنوانها: «سطوة الإلحاد على الأديان» وأكبرَ في هذا المقال حركة الإلحاد، وادَّعى أن رجال الدين ليس بيدهم سلاح يقاوم سلاح الملحدين^(١).

ثم بيَّن الشيخ السبب الذي دعاه إلى الرد، فقال: «كنا نقرأ هذه المقالات، ونصرف عنها النظر؛ رجاء أن يجد الأستاذ من نفسه واعظًا، أو من كتاب الله الذي اقتحم تفسيره منبهاً، حتى نشر الأستاذ الشيخ محمد التفتزاني في جريدة «الأهرام» مقالاً نقد فيه ما وقع في بعض بلاد الإسلام من ترجمة القرآن إلى غير العربية لتقوم الترجمة مقام الأصل؛ فكان من الأستاذ فريد وجدي أن جرد قلمه، وانهاهل يحبِّد ذلك العمل، ويطري من ارتكبه في إغراق، واستبان من لهجته أنه انقلب إلى دعاية لو أساغتها العقول، وأسلمت إليها النفوس لقوِّضت باسم التجديد ما تعبت يد الإصلاح في بنائه.

ذلك ما دعاني إلى أن أنقل من تلك المقالات قطعاً متجافية

(١) المرجع السابق ص ٢٠٠ - ٢٠١.

عن الحقيقة، حتى إذا شئت أيها الناشئ أن تقرأ شيئاً مما يخطه قلمه، قرأته وأنت على بينة من أنه لا يملك لعواطفه مرداً»^(١).

ثم شرع الشيخ في نقد تلك الآراء، حيث بدأ في المحاضرة الأولى في نقد مقالة: «روح العصر الحاضر نفحة إلهية».

ثم انتقل إلى نقد مقالات الدعوة إلى التجديد.

وفي المحاضرة الثانية أكمل ما بدأ به في المحاضرة الأولى.

ثم ختم المحاضرة في «نقد مقالة: سطوة الإلحاد على

الأديان».

وفي ذلك النقد ساق الشيخ الخضر جملاً من أغلاط الأستاذ

فريد وجدي، وفنّدها - كعادته - بأدب، وقوة، وسطوع حجة.

وفيما يلي خلاصة موجزة لأهم ما قرره الشيخ في ذلك الرد:

١ - إذا وُضِعَ الإلحادُ على محك النظر استبان أنه رأي زائف،

منشؤه قلة الروية، والوقوفُ في البحث عند غاية تتجاوزها العقول

وهي مهتدية بنور العلم، معتصمة بقوة المنطق.

٢ - إذا ادعى الإلحاد أنه يستند إلى العلوم اليقينية، فقد افترى

على هذه العلوم كذباً.

٣ - دلت المشاهدة على أن من دعاة الإلحاد من لا ينقطعون

عن دعايتهم، ولو أقمت لهم على ضلالهم ألف دليل.

٤ - متى كان في الرئيس الأعلى غفلة وقلة صفاء، وجد أولئك الدعاة تحت رعايته المجال واسعاً؛ فعاثوا في الفطر السليمة فساداً.

٥ - من مثار العجب أن يَشْكُو دعاة الإلحاد حزمَ الرئيس المصلح، واحتراسه من مكرهم، ويسمونهم اعتداءً على حرية الفكر، حتى إذا ملك أحدهم قوةً أرهق بها فضلاء الناس خسفاً، ولا يكون من أولئك الذين يندبون حرية الفكر إلا أن يتغنوا بمدحهم في الصحف، ويسمون إرهابه الغاشم إصلاحاً.

٦ - من الإنصاف أن نقول: إن أشد الناس صداقةً للعلوم والتجديد الصالح علماء الإسلام.

٧ - ليست الحياة الحرة هي التي تجعل الإلحاد يطمع في أن يقضي على الدين القضاء الأخير، وإنما يطمع الإلحاد في القضاء على الدين متى رأى أميراً، أو وزيراً، أو رئيس معهد علمي يحمل في صدره الإنكارَ والفسوق، ويرفع الملحدين على المتدينين درجات.

٨ - الفلسفة لا تلتهم الطبقات المتعلمة، وإنما تلتهمهم سموهم ينفثها فيهم بعض من يتولى تعليمهم من الزائغين، وهم على فطرتهم الأولى.

٩ - دللنا تتبع حركة الإلحاد أن في دعاة الإلحاد من لم يدرس الفلسفة المادية قط، ولم يعرف منها إلا مبادئ يسيرة.

ولكنه ينال مظهرًا وجيهاً؛ فيفسد طائفةً من النفوس، ويربيها على الجحود والإباحية تربية لا تَمُتُّ للفلسفة المادية بصلة.

١٠ - النفوس التي يسبق إليها تعليمٌ دينيٌّ حكيم تصبح في حصانة من أن يمسه الإلحاد، ولو خاضت غمار الفلسفة المادية، أو أمعنت في باب من أبوابها.

١١ - في هداية القرآن ما يُفَرِّق بين الإلحاد والإيمان، ويُفَصِّل الإباحية عن العدل والعفاف، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ ﴿٤٠﴾ [النور] (١).

فهذا هو أهم ما قرره في ذلك، وبه ينتهي الكلام على موقف الشيخ الخضر من ظاهرة الإلحاد.
والحمد لله رب العالمين.





فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

٥	المقّدمة
١٣	المطلب الأول: دراسته لظاهرة الإلحاد
١٣	أولاً: تقسيم الملاحظة:
١٤	ثانياً: أسباب الإلحاد:
١٥	ثالثاً: بيان طبائع الإلحاد والملاحظة:
١٧	رابعاً: بيان مفاسد الإلحاد الاجتماعية:
١٨	خامساً: أسباب ظهور الإلحاد:
١٩	سادساً: بيان كيفية علاج الإلحاد:
٢٣	المطلب الثاني: دراسته لبعض قضايا الإلحاد
٢٣	أولاً: الملاحظة وسبب إلحادهم:
٢٤	ثانياً: التأكيد على أن العلم المادي لا يشد أزر الإلحاد:
٢٥	ثالثاً: تصنيف الملاحظة:
٢٧	رابعاً: أساليب الملاحظة:
٢٨	خامساً: موقف الإسلام من الإلحاد:
	سادساً: الاحتفاء بإسلام زعيم من زعماء الإلحاد
٣٠	والشيعية:
٣٧	المطلب الثالث: ردوده على من يسوّغ الإلحاد
٤٥	فهرس الموضوعات